

حول الحريات العامة

سعيد محي

ألقيت هذه الكلمة في تجمعات « كتلة العمل الوطني » سنة 1936 تأييدا للمطالب المستعجلة التي تقدمت بها الكتلة إلى المراجع المختصة.

الحمد لله

سادتي،

توالى الخطباء على هذه المنصة وسيتوالى بعدي خطباء آخرون يشرحون ما تطلبه الأمة المغربية من إصلاحات جمة تتناول مظاهر حياتها المختلفة، ففي هذا الجمع العظيم، جمع أمة تؤيد أبناءها العاملين لخيرها والساعين في تطوره يجب أن تعرض على بساط البحث أية ناحية من النواحي الجمة المفتقرة إلى نور الحياة الوهاج وحرارة شمس تميمت هذه الحشرات التي تفتك بأممنا أشنع فتك وتتجه بها إلى الموت الزؤام.

غير أنه مهما اقتنعنا بضرورة ما سيعرض له خطباء هذا الجمع الحاشد من مطالب مستعجلة وإصلاحات ضرورية فإن جميع ذلك ولو نفذ يظل جسما من دون روح وصورة من دون حياة، سيظل كل إصلاح يدخل الحياة المغربية وأى تنظيم يشمل الشؤون الإدارية والاجتماعية ألقا جوفاء على صفحة بيضاء، ستظل تلك الإصلاحات وتلك التنظيمات عديمة الجدوى ما دام هذا الوسط المغربي منحوق الحرية، مسلوب الإرادة، ما دام هذا الوسط المغربي تحوطه مظاهر الإرهاب، وتستولى عليه فكرة الاستبداد والاستعباد، وتساس شؤونه في ظلام داس، وتدار أموره في ليل بهيم.

فالمغرب اليوم مغرب مشوه الحلقة، لا يسير في طريق الحياة الزاهرة، بل يتدرج من حياة ذابلة إلى ضعف وهزال سيلازمانه دهرا طويلا سببهما فقد الحرية التي هي العنصر الأساسي للأحياء، حرية تمتزج مع النفوس لتبين عن صلاحيتها، حرية تشمل سائر مظاهر الفرد والمجتمع وتتناول شؤون الجماعات والهيئات إذ أن المغرب عديم أي نوع من أنواع الحريات الخاصة والعامة، أي نوع من أنواع الحريات المدنية والسياسية، فما زالت أموره تسير بالرغم عنه، تتحكم فيها الوسوس والظنون وينعدم بين أبنائه ورجالاته حسن الاتجاه. المغرب اليوم هو البلاد الواحدة التي تخضع لمراسيم جائرة، صيغت بسوء نية وعوائد وضعت في عصور مظلمة.

فنحن قبل أي شيء وقبل أن نسعى في وضع أنظمة نود أن نأخذ نصيبنا من التحرر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، نصيبنا من هذا الهواء العليل الذي يسري في الجسم فإذا هو حي نشيط، وإذا الأعضاء عاملة ساعية لفهم المرحلة الجديدة التي ستدخلها الحياة المغربية، فنحن أحوج الجماعات إلى الحريات الخاصة والعامة لتتصور جيدا قيمة الإنسان في مجتمعه ووسطه وصلاحية الفرد في إدارة شؤون الجماعة.

على أن الحرية السياسية هي مصدر الحريات الأخرى، هي أساس الشعور الذي يخالج المرء ليدافع عن مطالبه وليؤدى واجباته راضيا مطمئنا. الحرية السياسية هي دعامة الحياة العصرية ترشد الأمة إلى سبل النجاح وتثير للأفراد سر تأليف المجتمع، وسر تضامنه، وتردع المسيطرين عن الاستبداد والجور، وترفع أنة المظلوم، وتذيع زفرات البأس المعدم، وتحمي الخائف الوجل من سلطة الإرهاب التي تعم مصائبها في وسط متى عدت الحرية فيه، تعم مصائبها وفواجعها في بلاد حيل بينها وبين أن تتمتع بحقها المسلوب، ونصيبها من هواء الحياة الضروري للنمو والازدهار. وأبرز مثل نجده عن فواعج الحياة المسلوقة الحرية وعن مصائبها ودواهيها هذه البلاد المغربية التي لم يسمح لها بعد أن تعيش في العصر الحاضر، ولم يسمح لها بعد أن تتنفس من هواء الحرية ما يحيي جسمه ويزيد في عضلاتها

متانة، بل أصبحت مسرحا بفقد الحرية لصور من الجيروت والحشع لا أثر لها في بلاد أخرى وميدانا للمظالم والمخازي تعدم في غير هذا البلاد.

فمغربنا، أيها السادات، عجيب أمره، غريبة شؤونه، حافل بما يتصور في ذهنية المرء وما لا يتصور من تصرفات شاذة، ومظالم متعددة، وإرهاقات لا تتحملها النفس الأبية.

فأى بلاد اليوم تحرم من صحافة تدافع عن مصالحها وتوضح اتجاهاتها وتطوراتها؛ أى بلاد تعدم فيها الجمعيات ولا يسمح تأسيسها مهما كان الغرض منها؟

وأى بلاد تتمتع فيها الاجتماعات وتموت فيها الحرية الخاصة نفسها؟

أى بلاد من بلدان العالم اليوم تعامل نفس هذه المعاملة وتمنع من رفع ألقها مهما اشتد ومهما تأصل داؤه؟

أى بلاد من بلدان العالم اليوم تطالب بأتفه المسائل فإذا الإجابة غير الطلب بل الإمعان في سياسة الظلم والإجحاف؟

أى بلاد من بلدان العالم تعطى فيها صلاحية واسعة لأصغر موظف ليستبد وليتعسف في الجمهور وهو لا يخشى من مسؤولية ولا تفتيش؟

أى بلاد يزج أبناءها في السجن فرادى وأزواجا وجماعات دون جريمة، بل تمشيا مع سياسة اماتة النفوس ومحاربة الرجولة في جميع صورها؟

أى بلاد تفتشت الرشوة فيها لنيل المطالب الشخصية وسير دولب الأعمال؟

مصائب المغرب أيها المغاربة حمة؛ مصائب المغرب إخواني شنيعة لا تحصى حان زمان إعلانها، حان زمان إذاعة صورها ونشر أخبارها، حان زمان تسطيها وتقديمتها للمعمور ليرى العالم أجمع في أي عصر من عصور الانحطاط والظلم تعيش أمتنا وأية معاملة تعامل بها وأي فساد ينخر في جسمها وأي مصير نراها سائرة إليه بخطوات واسعة.

وأول ما نطالب به إيجاد صحافة مغربية تعبر عن الرأي المغربي؛ والصحافة التي نطالب الآن بها والتي سنوجدتها مهما ضحينا في سبيلها ومهما حيل بيننا وبينها، هي اليوم الوسيلة

الواحدة لتعيش أمتنا تحت الشمس محافظة على وجودها، حريصة على حياتها؛ بالصحافة وبالصحافة وحدها ستنال أمتنا الخطوة الأولى في سبيل إزاحة هذا الستار الذي يحول بين أمتنا وبين النور، فإذا صممت أية سلطة على محاربة هذه الوسيلة الفعالة فسندم هذه السلطة، وسنريها بأجلى بيان أننا شعب جدير بالحياة، وأنها لا نرغب في الحياة إلا أحراراً، وأنها لا نستطيع بعد الآن أن ندع الوسط المغربي في هذا الجو المتسم، وأنها سنجاهد في سبيل إعلان هذه المساوي وهذه المصائب النازلة بالشعب المغربي جهادا شريفاً شرعياً حتى ينبج الصبح وحتى يظهر هذا الوسط من أدراج الظلم والجور والاستبداد. فلنستعد جميعاً ليوم الفصل لنيل حريتنا في الجهر بما نطالب به وبما نحرض عليها لنيل حريتنا بيدنا، فاسمحوا لي أن أعلن في صراحة وجرأة أنكم أحرار متى شعرتم بإحساس الحرية يحتل حيزه من نفوسكم ويتغلغل في مشاعركم، فكل إصلاح وكل تنظيم ربما يعطى، ولكن الحرية لا تعطى بل تؤخذ أخذاً. فلن ننتظر، إن جوهر الحرية الثمين يهدى إلينا ونستمتع بخيراته من دون أن نقدم الثمن غالباً ونحرص حرصاً شديداً على نصيبنا من الهواء الطلق بين الأحياء. ففي متناولنا أن نحرض على هذا النصيب من الحرية متى استعدنا لإحرازه ومتى بذلنا النفس والنفيس في سبيل هذه الغاية السياسية التي نعلن جدارتنا بها. تمثل هذه الاجتماعات السياسية التي هي ميدان الأحرار: حرية الصحافة وحرية الاجتماعات والجمعيات هي الخطوة الأولى ليتطور الشعب فتخفف المصائب المتوالية عليه وتتحسن نوعاً ما حياته التي هي اليوم تمثل البؤس والخضوع. فباسم كتلة العمل الوطني التي هي لسان المغاربة عموماً والوطنيين خصوصاً نطالب في هذا الجمع الحاشد بنصيب الشعب المغربي من الحرية التي هو جدير بها. والأمة المغربية عيل صبرها من تحمل هذه التدابير الزجرية وهذه القوانين المضادة لأية حرية وعدالة. عيل صبرها وأن لها أن تنفض عن نفسها ما تشاء من حوائل شاذة وحواجز تحول بينها وبين النور.